ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول انا عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا ابو العباس محمد بن اسحق
السراج قال سمعت احمد بن الفتح يقول سمعت بشر بن الحارث يقول اذا اعجبك الكلام فاصمت
واذا اعجبك الصمت فتكلم قال الشارح رضي الله عنه وهذا رحمه الله امر بمخالفة النفس
وردها عن هواها واعجاب النفس بالكلام او السكوت يكون على وجهين احدهما الاستحسان للشي
كما تقول اعجبني حسن كذا وصنعه كذا وهذا انما تخالف النفس فيه لاحد وجهين اما ان يكون
مذموما في الشريعة فاستحسان ما لم يحسنه الشرع خطا فخالفه والثاني ان يكون
المستحسن ليس بمذموم في الشرع الا ان استحسانه يحمل النفس على متابعته والتشاغل به
عما هو اولى منه الوجه الثاني في العجب ان يكون اضافة الشي المستحسن الى نفسه وميل
النفس عليه ونسيان منه الله تعالى هذا عجب محرم والسكوت عنه اذا كان الكلام هو المعجب
به توبة عن العجب فيراعي صحة شروط التوبة مع مفارقته وهو الندم على ما كان والعزم على ان لا
يعود ولذلك القول اذا اعجب بالسكوت من جهة العجب والله الموفق قال الامام رضي الله
عنه وقال سهل بن عبد الله لا يصح لاحد الصمت حتى يلزم نفسه الخلوة ولا تصح له التوبة
حتى يلزم نفسه الصمت قال الشارح رضي الله عنه وهذا الخرج مخرج الغالب وذلك ان الغالب
من الناس ان من اراد الصمت وهو مع الناس يخالطهم عجز عن ذلك فاذا اعتزلهم
وخلا بنفسه حتى يتعود السكوت ويصير له عادة امكنه ان يسكت مع المخالطة وقد
يمن الله تعالى على العبد بالقوة على مخالفة النفس فيسكت وهو مع الناس وان لم يتقدم
له خلوة وقوله لا تصح له التوبة حتى يصمت يريد التوبة من فضول الكلام وزلل اللسان
فان الغالب ان من كثر كلامه كثر سقطه وغلطه الا لحاجة دالناس وهو المتثبت بقلبه
المميز لما ينطق به لسانه فيصير لسانه تبعا لقلبه المتثبت والامر كان شانه الاستعجال في
الجواب وحبه سماع الكلمة بين العباد حتى استعجل اخطا او كاد قال الامام رضي الله عنه
وقال ابو بكر الفارسي من لم يكن الصمت وطنه فهو في الفضول وان كان صامتا قال الشارح
رضي الله عنه وهذا الذي نبهنا عليه قبل هذا وذلك ان الصمت اذا لم يكن بالقلب قبل اللسان
وكان العبد مشغولا باعلام الخلق بما تضمنه الجنان كان متكلما وان صمت بلسانه فانه يشير
الى مقصوده بيده وبما له بعينه وبما له بغير ذلك مما يصح به الافهام هذا وجه وقوله وطنه
يعني مقامه وحاله في قلبه وقوله فهو في الفضول اي كثرت وساوسه وتشعبت افكاره في جهات
عديدة ولم يجمع ما هو فيه لكثرة التفات قلبه وحديث نفسه بغير ما يعنيه ولذلك قال بعضهم
من كان يقينه وطنات كانت وساوسه خطرات ومن كانت وساوسه وطنات كان يقينه
خطرات وذلك لما غلب على قلبه من احد القسمين وصار مقاما له وهذا ما يختص بالقلب وقد
اشرنا لما فيه التعرفه باللسان من الاشارة والافعال قال الامام رضي الله عنه والصمت

ليس

ليس بمخصوص على اللسان لكنه على القلب والجوارح كلها قال بعضهم من لم يستغنم السكوت
فاذا انطق نطق بلغو قال الشارح رضي الله عنه من لم يستغنم اي من لم يعلم فضيلة السكوت
ويعلم غنيمته فاذا انطق وقع في الزلل لقلة خوفه من افات اللسان وانما يقل خوفه من افات
اللسان لجهله بذلك وقد بينا ان السكوت يكون بالقلب والجوارح قال الامام رضي الله
عنه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت ممشاد
الدينوري يقول الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والتفكر قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح
فان تحقيق الحكمة وضع الاشياء مواضعها في القول والفعل فمن لم يتثبت بقلبه ويسكن نفسه
عن العجلة في الجزم بقلبه او الفعل بجارحته ولسانه حتى يعرف الصواب من الخطا في الفعل
والحق من الباطل في القول لم يكن حكيما وجرت اقواله وافعاله منتجة غير صحيحة قال
الامام رضي الله عنه وسيل ابو بكر الفارسي عن صمت السر فقال ترك الاشتغال بالماضي والمستقبل
وقال ابو بكر الفارسي اذا كان العبد ناطقا فيما يعنيه وفيما لا بد له منه فهو في حد الصمت
قال الشارح رضي الله عنه وقوله السر عدم الالتفات الى الماضي والمستقبل يعني جمع
الهم على ما هو الاولى بالعبد في وقته ويكرر به غير ما هو اولى به في وقته من جملة الفضول
المستغنى عنه واليه يرجع قوله الثاني اذا تكلم العبد فيما يعنيه فهو في حد الصمت بل افضل
عنه واذا تكلم بغير ما يعنيه في وقته فليس بصامت وان لم يتكلم بلسانه فكلامه الاول
والثاني يشير الى ان الكلام والفكر فيما هو محتاج اليه لا يخرجه عن صمت السر ولا صمت اللسان
وما تفكر فيما لا يعنيه او تحدث بالاشارة الى غير ما يعنيه فليس بصامت وان لم يتكلم
بلسانه قال الامام رضي الله عنه ويروى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال كلم الناس
قليلا وكلم ربك كثيرا لعل قلبك يرى الله قال الشارح رضي الله عنه وهذا فيه اشارة الى دوام
ذكر الله تعالى ودوام مناجاته في سائر الاحوال وحاجات الدينية والدنيوية فاذا اكتفى كل الذي
صرت تمر بعبد الله كانه يراه ويمن ان سنحت له حاجة لا يقصد سواه ويلزم عن ذلك
السكوت عن كلام الناس الا نادر الضرورة خلطتهم ولهذا قال له رضي الله عنه تعود الاملال
من كلام الناس والاكثار لمكالمة الله اي لذكره ومناجاته فلعل قلبك يجيس عن سوء الغفلة
ويقبل على ربه في سائر ما دبره ويراه في دنياه بقلبه ويرجى له رؤيته في الاخرة كما وعد
ربه بعين راسه قال الامام رضي الله عنه وقيل لذي النون المصري من اصون الناس
لنفسه قال املكهم للسانه قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح لانه على حسب صون
اللسان عن الوقوع في الافات من الغيبة والنميمة والسب والفحش وغير ذلك من البليات
صون بذلك نفسه حتى لا يتكلم الا بعد التثبت والتمييز لما يقوله فقد سلم من هذه الافات وصان
نفسه عن الوقوع في كثير من المحرمات ولا سيما في هذه الاوقات التي غلبت على القلوب الغفلات

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)